اهتمام الشّيخ البشير الابراهيمي بالتاريخ الوطني

Sheikh Al-Bashir Al-Ibrahimi's interest in national history

أ.د/ سعيدي مزيان
أستاذ التعليم العالي
–المدرسة العليا للاساتذة ببوزريعة –
–الجزائر –
Smeziane68@yahoo.fr

الملخص: إطّلع الشيخ الابراهيمي وبتوسع على تاريخ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وتابع نهوض وسقوط الدول والحضارات، وخص الجزائر باطلاع واسع في مصادر مختلفة ، فنحن نجد في كتاباته إشارات عديدة إلى تاريخ الاستعمار الروماني لشمال إفريقيا وتاريخ الاستعمار الفرنسي للجزائر وغيرها، وتاريخ الكنيسة المسيحية في بلاد المغرب والحروب الصليبية في المشرق ، وتاريخ البربر والهجرات العربية ، وتاريخ الحواضر الإسلامية. ظهر الشيخ في كتاباته عارفا بواجبات المؤرخ وأدواته بل ظهر فيها كأحد المنظرين وليس فقط أحد رواة الأخبار، فمن رأيه أن التاريخ لا يكتب " ساخنا" وإنما يكتب بعد برودة الحدث وسكون غباره، والأهم من ذلك عنده هو ألا يكتب عن الحدث التاريخي إلا بعد توفر الوثائق والأدوات، ولابد مع ذلك ، من تمتع المؤرخ بميزات تتمثل في الثقافة العميقة والذكاء الحاد والنزاهة الخالصة، ويرى الإبراهيمي أن التاريخ الوطني لا يكتبه إلا مؤرخ وطني. وهذه قضية حيوية في كل

العصور وعند مختلف الأمم، فالمؤرخ هو صوت أمته وهو المعبر عن هويتها الحقيقية مهما تفنن الآخرون وأخلصوا في الكتابة عنها.

الكلمات المفتاحية: الابراهيمي – أهمية التاريخ الوطني – واجبات المؤرخ – كتابة التاريخ الوطني

.

Abstract:

Sheikh Ibrahimi was briefed extensively on the history of Muslims in the east and west of the land, and followed the rise and fall of states and civilizations, and singled out Algeria with extensive knowledge in various sources, as we find in his writings many references to the history of Roman colonization of North Africa and the history of French colonization of Algeria and others, and the history of the Christian Church in the Maghreb The Crusades in the East, the history of the Berbers and the Arab migrations, and the history of Islamic cities. The sheikh appeared in his writings knowing the duties and tools of the historian, rather he appeared in them as one of the theorists and not just one of the narrators of the news. It is his opinion that history is not written "hot", but rather it is written after the event has cooled down and its dust has settled

The most important thing for him is that he not write about the historical event except after the availability of documents and tools, and with that, the historian must have advantages represented in deep culture, sharp intelligence, and pure integrity, and Al-Ibrahimi believes that national history is only written by a national historian. This is a vital issue in all ages and for different nations. The historian is the voice of his nation and he is the expressor of its true identity, no matter how skillful and sincere others are in writing about it.

Keywords: Al-Ibrahimi - the importance of national history - the duties of the historian - writing the national history

مقدمة :

أصبح من المعروف عند الباحثين والطلبة أن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من أعيان المثقفين العرب والمسلمين في القرن العشرين، وقد تناوله الباحثون في مقالاتهم وفي رسائلهم الجامعية على أنه أديب ولغوي، وأنه فقيه ومصلح، كما درس آخرون مواقفه من القضايا العربية والإسلامية كقضية فلسطين وباكستان وليبيا ومصر واليمن.. ولكننا لا نعرف أن هناك من درسه كعالم بالتاريخ وأحوال الأمم الغابرة والمعاصرة، وأن له رأيا في كتابة التاريخ لم يأت ربما على قلم أو لسان جيله من الأدباء والمصلحين، فإلى أي حد يصحّ قولنا أنّ الإبراهيمي كان يتمتع بثقافة تاريخية عميقة بل كان له حسّ تاريخي نادر المثال؟ ونريد أن نبدأ بمصادره من أين استقى الشيخ البشير الإبراهيمي مادته عندما كتب عن القضايا التاريخية ؟.

ذكر الابراهيمي الكتب التي قرأها أثناء حياته المبكرة، فاكتفى بكتب الأدب ودواوين الشعراء وكتب الفقه والسيرة ومتون اللغة إلى جانب القرآن الكريم والحديث الشريف ، بينما لم يذكر أنه قرأ المسعودي والطبري وابن الأثير وابن عبد الحكم ، لذلك نعتقد أن مصدره الأساسي في الثقافة التاريخية هو التجربة الشخصية والمطالعة الحرة ، فقد عاش مند سنوات المراهقة متنقلا بين عواصم العلم متأملا في أهلها ، مخالطا لعلمائها، مطالعا من مكتباتها، وفي هذه الأثناء قرأ الكثير في كتب التاريخ والرحلات والتراجم دون أن يذكر ذلك بالاسم والعنوان إلا نادرا كذكره لابن خلدون وابن الخطيب ورسائل الضابط الفرنسي سانت آرنو.

قضى أطول مدة من حياته بالجزائر في عهد النضج والعطاء الفكري لم يدرس الإبراهيمي تاريخ بلاده لا في المدارس ولا في الزوايا، فكان المهتمون بتاريخ الجزائر يتلقونه من الذاكرة الشعبية في صورة قصص وحكايات شفوية والشعر الملحون ، أو ما يسمى اليوم بالأدب الشعبي، فكان التاريخ عندئذ خليطا من الأدب والأخبار والخرافات ، وإذا تجاوز المتطلع إلى معرفة الحقيقة عن تاريخ الجزائر فإن عليه أن يرجع إلى تاريخ بلاد المغرب والأندلس مند الفتح الإسلامي.

ذلك أنّ تاريخ الجزائر الذي لا يدرسه أهله في المدارس لم يشهد حركة تأليف إلا في القرن العشرين وبالتحديد منذ الحرب العالمية الأولى على يد عثمان الكعاك ومبارك الميلي وأحمد توفيق المدني باستثناء كتابين هما " تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر " لمحمد بن الأمير عبد القادر الذي طبع سنة 1903 " وتعريف الخلف برجال السلف" لأبي القاسم الحفناوي الذي طبع سنة 1907 ، وهو كتاب في التراجم.

والواقع أنّ الشيخ الإبراهيمي كان يحس بهذا النقص في ثقافته إن هو لم يجمع إليها ثقافة تاريخية واسعة ، وكيف يكون المرء عالما مصلحا وهو يجهل تاريخ قومه وحضارتهم؟ لذلك لا نستغرب إن وجدنا الشيخ الإبراهيمي قد اطلع وبتوسع على تاريخ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وتابع نهوض وسقوط الدول والحضارات، وخص الجزائر باطلاع واسع في مصادر مختلفة ، فنحن نجد في كتاباته إشارات عديدة إلى تاريخ الاستعمار الروماني لشمال إفريقيا وتاريخ الاستعمار الفرنسي للجزائر وغيرها، وتاريخ الكنيسة المسيحية في بلاد المغرب والحروب الصليبية في المشرق والإغريق، وتاريخ البربر والهجرات العربية ، وتاريخ الحواضر الإسلامية.

تبرز ثقافة الشيخ البشير الإبراهيمي التاريخية فيما كتب عن تاريخ الإسلام في الجزائر ومؤسساته، فالإسلام في رأيه انغرس في الجزائر منذ القرن الأول للهجرة بعد أن اجتث بقية الصحابة الوثنية عن البربر وعتو الرومان ونشروا عقائد الإسلام حتى استقرت في النفوس وسادت المحبة بين السكان ، لأن الفتح الإسلامي كان بعيدا عن معنى الفتح المتعارف عليه عند المؤرخين والحربيين، فهو ليس فتحا مبنيا على القسوة والقهر [1] .

ويرى الإبراهيمي أنّ الإسلام انحدر في شمال إفريقيا مع تاريخه فهو مرة يضعف ومرات يقوى ، ولكنه احتفظ دائما بسلطانه على النفوس ، ومن أثار الإسلام في الجزائر و(وشمال إفريقيا عموما) ازدهار العلوم والآداب وكثرة الـــتأليف وظهور النوابغ وعمران المساجد والمدارس، والحصون والقصور، وانتشار الأوقاف التي قضت –كما قال- على الآفات الثلاث المبيدة للشعوب وهي الجهل والفقر والمرض.

والملفت للنّظر أن الشيخ كتب عن هذه الإنجازات والآثار وكأنه أحد المؤرخين المعاصرين فيقول:" من اطلع على رواية المؤرخين وترجماتهم ورأى بقايا الوثائق الوقفية المسجونة في مكاتب الاستعمار بالجزائر، عجب لما فعل الإسلام في نفوس أسلافنا" .[2]

ثمّ يضيف :" ومن قرأ تاريخ المدن الجزائرية العلمية التي كانت لها في الحضارة أوفر نصيب مثل تلمسان وبجاية وتيهرت وقلعة بني حماد والمسيلة وطبنة وبسكرة، علم أية سمات خالدة وسم بها الإسلام هذا القطر". [3] ويقف الإبراهيمي وقفة مؤرخ حديث أيضا ليعرف قراءه بتكوين خريطة الجزائر ودولتها فيلاحظ أنها اليوم جديدة من حيث الحدود الجغرافية والإدارية، لقد تشكلت خريطة الجزائر في العهد العثماني وتمت في عهد الاحتلال الفرنسي، أما قديما فقد كانت قطعة من المملكة العربية الإسلامية التي أقامها الفاتحون منذ القرن الأول الهجري وجعلوا عاصمتها القيروان. لقد كانت القيروان هي التي تتحكم في تونس والجزائر ومراكش ثم الأندلس بعد فتحها. وكان والي القيروان هو الذي يعين ولاة هذه الأقطار ولا دخل لمركز الخلافة في المشرق في تعيينهم . ولما ظهرت الدعوة الأموية في الأندلس على يد عبد الرحمن بن معاوية انفصلت الأندلس عن القيروان. ولما ظهرت الدعوة العلوية في مراكش على يد إدريس بن عبد الله انفصلت مراكش عن القيروان وليس بين مراكش والجزائر ولا بين تونس والجزائر حدود فاصلة ، بل إن الأطلس زاد العلاقة بين هذه الأقطار متانة ، كما زادها الإسلام متانة أخرى لأنه هو الذي جمع الأقطار الثلاثة في ملاءة واحدة . [4]

تناول الشيخ الإبراهيمي تاريخ الجزائر في مناسبتين على الأقل، الأولى في أربع محاضرات بعنوان (الاستعمار الفرنسي في الجزائر) ألقاها على طلبة معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة سنة 1955، والثانية في مقالة بعنوان" فرنسا وثورة الجزائر" كتبها في القاهرة سنة 1959.

أمّا محاضرات المعهد فقد ارتجلها ثم كتبها وقدمها لإدارة المعهد لطبعها وتوزيعها على طلبته (وهو تقليد كان المعهد يتعامل به مع الأساتذة الزائرين). ابتعد الشيخ في المحاضرات عن أسلوب الأدب والسياسة والصحافة وعالج الموضوع بأسلوب تاريخي، وقد اعترف بأنه كان في الكتابة أكثر هدوءا في الإلقاء، أي أنه كان أكثر علمية ومنهجية .

في هذه المحاضرات قسم تاريخ الجزائر إلى مراحل، وجعل المرحلة الأخيرة هي الاحتلال الفرنسي، وتحدث أثناء المرحلة الأخيرة عن دور الأحزاب والجمعيات والقادة. ووصف منهجه بقوله:" ألممت فيما كتبت بشيء من تاريخ الجزائر من يوم أسلمت ، ومن يوم تعربت ، ثم بشيء من أخبار الدول التي قامت بها من أهلها ، ثم مررت بتاريخ العهد التركي (كذا) وهو أطول العهود فيها ، مرورا أهدأ مما سمعه الطلاب مني وأبطأ" . (5)

أمّا مقالته " فرنسا وثورة الجزائر" فقد ظهر فيها عارفا بواجبات المؤرخ وأدواته بل ظهر فيها كأحد المنظرين وليس فقط أحد رواة الأخبار، فمن رأيه أن التاريخ لا يكتب " ساخنا" وإنما يكتب بعد برودة الحدث وسكون غباره، والأهم من ذلك عنده هو ألا يكتب عن الحدث التاريخي إلا بعد توفر الوثائق والأدوات، ولابد مع ذلك ، من تمتع المؤرخ بميزات تتمثل في الثقافة العميقة والذكاء الحاد والنزاهة الخالصة، ويرى الإبراهيمي أن التاريخ الوطني لا يكتبه إلا مؤرخ وطني. وهذه قضية حيوية في كل العصور وعند مختلف الأمم، فالمؤرخ هو صوت أمته وهو المعبر عن هويتها الحقيقية مهما تفنن الآخرون وأخلصوا في الكتابة عنها.

لقد تمنى الإبراهيمي في هذا الصّدد أن يقيض الله للجزائر مؤرخا من أبنائها تتوفر فيه الميزات التالية، **وهي أن يكون مستنير البصيرة مسدد الفكر والتعلم، صحيح الاستنتاج، سديد الملاحظة، فقيها في ربط الأسباب بالمسببات**...لكي يكتب " تاريخا لا يقف عند الظواهر والسطحيات..بل يتغلغل إلى ما وراء ذلك من الأسباب النفسية التي تحرك فرنسا إلى (ارتكاب) هذه المجازر البشرية وإلى العوامل التي تدفع المقاتلين (الجزائريين) إلى هذه الاستماتة في حرب حارت فيها عقول ذوي العقول... " وقد وضع تواضع الإبراهيمي فقال إنه لا يضع بذلك خطة لكتابة تاريخ الثورة مثلا، ولا يرسم الطريق لهذا المؤرخ الوطني أو الفارس المنتظر، ولكنه يريد أن يقول إن هذا المؤرخ الذي أعده الله لهذه المنقبة لعله لم يولد بعد، وإنما الشرط فيه أن يكون جزائريا.(6)

هذه الجملة من المواصفات التي ساقها الشيخ الإبراهيمي للمؤرخ عموما ولمؤرخ الثورة خصوصا يجب أن تكون ضمن مواصفات الكتابة التاريخية عندنا. فالمؤرخ في نظره يجب أن يكون متين الثقافة، قوي الاستنباط، قادرا على ربط الأسباب بالمسببات، عارفا بطرق الغوص فيما وراء مظاهر الأشياء واستكناه

الدوافع الباطنية. لكأن الشيخ الإبراهيمي، وهو يضع هذه المواصفات للمؤرخ ، ينظر في مقدّمة ابن خلدون التي نعرف من مقالته (تلمسان وابن خلدون) أنه قرأها وأعجب بها وبصاحبها. وبعد ..فهذه جولة قصيرة في ثقافة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي التاريخية وكتاباته عن بعض القضايا ذات الطابع التاريخي، ونلاحظ على ذلك باختصار أن الإبراهيمي:

كان ظاهرة فريدة بين جيله في تفسيره العقلاني للحوادث التاريخية سواء منها القديمة أو الحديثة أو المعاصرة، في وقت لم يدرس فيه التاريخ في مدرسة ولا جامعة، ولا شك أن ذلك يغير من نظرتنا المسبقة القائمة على أن علماء الفقه والأدب والدين لا يعرفون التطورات التاريخية ونتائجها إلا سطحيا، أو أنهم لا يعرفون إذا عرفوا، أكثر من وقائع التاريخ الإسلامي، وأنهم على كل حال لا يتقنون قواعد البحث العلمي، فقد أظهرت هذه الورقات القليلة أن الشيخ الإبراهيمي كان له تصوره لمسيرة الحضارة الإنسانية في مختلف عصورها وروافدها، وهو إن لم يكن فيلسوفا بالمعنى التقليدي للكلمة فإنه استطاع أن يزاوج بين الدين والتاريخ والفلسفة [7] .

لقد استطاع الإبراهيمي أن يحلّل أوضاع الجزائر القديمة و الحديثة انطلاقا من موقعها الجغرافي قائلا :" إن هذا الموقع هو الذي رشحها لتحوز السبق في الجهاد" ، وهو يعني بها موقعها على الضفة اليسرى للبحر المتوسط ، وبالضبط في مواجهة مرسيليا حيث تتشكل أوسع نقطة بين ضفتي من هذا البحر بالنسبة لجيران الجزائر (تونس و المغرب) وقد تناول الإبراهيمي طموح الأمم اللاتينية في استعمار جيرانها في الضفة الإفريقية بتحليل الخبير بأوضاع الأمم الغابرة فقال عن الأمم اللاتينية إنها ذات أطماع وفتوحات وكبرياء ودماء منذ كانت ، ولم يزدها ظهور الدين المسيحي السامي الروح إلا ضراوة وطموحا في الغلبة لأن الطبيعة المادية المتكالبة لتلك الأمم غلبت طبيعة الدين المسيحي الروحية المتسامحة ، وبذلك أصبح الدين المسيحي دينا رومانيا لا شرقيا .

- الاسلام والتاريخ :

من تحليلات الإبراهيمي القائمة على الاستقراء و الاستنباط ما جاء على قلمه حول روح المقاومة و الجهاد التي تميّز بها سكان شمال إفريقيا منذ القدم ، فهو يرى أن الإسلام قد **مزج بين البربر و العرب مزجا** قوى فيه معنى الإباء و الحفاظ والأنفة واعتبار الحمى عرضا تجب الموت دونه ، وفي معنى السخاء الذي يبتدئ بالمال ويعلو فينتهي بالرّوح ... لقد ذكر قائلا في معرض حديثه عن الأمر : "وإنّ التاريخ

شهد هذا الدين في عنفوان شبابه وتهيؤ أسبابه وازدخار عبابه، فشهد له بالفضل الأتم، والخير الأعمّ للبشر كلهم- بله أبنائه المتبعين لشرائعه- وشهد أن سلف هذه الأمة ما لمسوا حاستي السعادة إلا به، وما كانوا أساتذة الكون إلا بهديه، ولا دانت لهم المشارق والمغارب إلا بالتأدّب بآدابه والتخلّق بأخلاقه، ثم نشر تلك الآداب وتلك الأخلاق على الأمم. وإن التاريخ لم يعرف دينًا من الأديان لم يبق على أساس الجنسية و لم يرجع على قواعدها إلا دين الإسلام فهو لا يختصّ بجنس، وهو صالح لكل جنس وهو موافق لكل فطرة وهو ملائم لكل نفس. وقد اندفع في سيره الأول بسيرته الأولى إلى جهات المعمور الأرج وانتظم أممًا مختلفة الأجناس واللغات والطبائع والألوان، فأصبحت تلك الأمم- على ما بينها من تباين خلقي- أمة واحدة مطبوعة بطابع واحد وهو طابع الإسلام ومصبوغة بصبغة واحدة وهي صبغة الإسلام، فما هو السرّ في هذا؟ " [8] . يواصل فيقول : " السرّ هو أنه دين فطري روحي، يحمل في طيّاته نهاية الكمال الإنساني وأن أصوله بُنيت على حكمة من خالق الحكمة، فتجد في عقائده غذاء العقل وفي عباداته تزكية النفس، وفي أحكامه رعاية المصلحة، وفي آدابه خير المجتمع، وأن دينًا يأخذ من شرطه التخلّق بالأخلاق الشريفة، ويعمد إلى الأرواح مباشرة فيغرس فيها أصول الفضائل الإنسانية، ويعمد إلى الحيوانية فيهذب في حواشيها، ويكسر من حدّتها، ويفل ما فيها من شره وشراسة، ويعمد إلى ما بين المستضعفين والمستكبرين من حاجز وفروق فيجعلها جذاذًا، لحقيق بأن ينتظم تلك الأمم ومثلها معها [9] .

بلى، وإن التاريخ لم يشهد دينًا جمع بين مطالب الروح والجسم إلا هذا الدين، وأن السعادة لا تتمّ في الدارين إلا بالتوفيق بين المطلبين، وهذه عقبة العقبات في طريق السعادة وسبب الأسباب في استكمالها واختلافها، وأين تقع القوانين التي هي وضع البشر من التوفيق بين هذين المطلبين. وإذا كان في الديانات السماوية قبل الإسلام ما لا يفي بحاجة البشر من تحصيل السعادتين، فكيف بالقوانين الوضعية ونحن نرى أرقاها في أرقى الأمم، موجهًا إلى استطلاع البدن، وإشباع شهواته ورغائبه، ونراها لا تحمل من جراثيم الإصلاح الروحي إلا قليلًا لا يشفي ولا يكفي".[10]

ويضيف في هذا الصدد ما عذب قوله : " هذا وإنّ ما يقصّه التاريخ من اضطراب الأمم وتخبّطها في سبيل الحياة، إنما هو ناشئ عن هذا السبب، وهو عدم التوفيق بين المطلبين، وبهذا التوفيق تتفاضل الأديان، وبه تتحقق حكمة وجود الإنسان وسطًا بين أفق الحيوان وبين المَلإِ الأعلى، وبه كانت الشريعة

الإسلامية آخر الشرائع وكانت أكمل الشرائع، وكانت ناسخة لجميع الشرائع نسخًا لا هوادة فيه، ولهذا عمّت دعوتها ولهذا خاطبت العالم البشري بلسان واحد وبلهجة واحدة إن كانوا لا يعرفونها فإنهم سرعان ما يألفونها لأنها تدعو الأرواح لما يزكيها وتدعو الأجسام لما يحفظها ويقيها، كل ذلك من طريق الفطرة التي يشترك جميع الناس فيها ".[11]

ثمّ يذهب الإبراهيمي بعيدا في التحليل و التفسير والاستنباط حيث يتابع الصراع الذي بين ضفتي المتوسط ، روما وقرطاج ، وكلتاهما تتربص بالأخرى طمعا في الثروة و العيش و التوسع ، ثم صار صراعا على الدين بعد قدوم الفاتحين من الشرق . كما يرى الإبراهيمي " أنّ العرب خلفوا الرّومان على حضارتهم في إفريقيا ثم لمسوهم من جبل طارق تلك اللمسة المؤلمة التي تطيّروا بها وطاروا فزعا ، وظنُّوا أنها القاضية على روما وديانتها وحضارتها وشرائعها ، وهذا الميدان الذي انتقل إليه الصراع أعمق أثرا في النفوس ويزيد في عمقه أن حامليه العرب قوم لا تلين لهم قناة ، ولا يُصطلى بنارهم .." . وهنا تظهر الثقافة التاريخية عند الإبراهيمي كأنه صاحب اختصاص في تطور الحضارات وفلسفة التاريخ ، فتتبع بنظر المؤرخ الثبت ، والمفكر البصير بمواقع الضعف و القوة ،في كلتا الأمتين الرومانية و العربية ، فتحدث عن الأسباب التي دفعت الصليبيين اللاتين إلى الثأر للرومان الذين غربت دولتهم مع الفتح الإسلامي الزاحف ، واستغلوا ضعف الأندلس في عصر ملوك الطوائف ، فتداعوا على سواحل المغرب من تونس شرقا إلى مراكش غربا ، وقد كان للجزائر القدح المعلى في الجهاد ، تارة منظما على أي الدول ، والاستنفار تارة وهو الدائم الذي لا ينقطع بالوازع النفسي الفردي وهو " الرباط" الذي يشبه في جهته الفردية حرب العصابات اليوم ، ولم ينقطع هذا الرباط ـــ في نظر الإبراهيمي ـــ إلا عند الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م تنفيذا لخطة مرسومة تقتضي إعادة شمال إفريقيا لاتينيا كما كان قبل الإسلام ، وعندما يُحتل القلب ، يضرب الجناحان (تونس و المغرب). ثمّ راح الإبراهيمي ينحي باللائمة على العرب ، وتعتصر نفسه ألما ، بسبب الصمت المطبق الذي خيم عليهم ، والفاجعة تحلُّ بإخوانهم في قطعة جليلة من وطنهم الأكبر ، وسكت المسلمون من ورائهم ، وكأن الأمر لا يعنيهم !!، وما دروا أن ضياع الجزائر مؤذن بضياع غيرها [12] .

كما أشار في المحاضرة لتي ألقاها في معهد الدراسات العربية العليا بالقاهرة (ماي 1955م) إلى الدور الذي قامت به الجزائر بعد الفتح الاسلامي فتحدث عن الدولة الرستمية : " هي أول دولة جزائرية قامت في صميم القطر الجزائري من أهله ، بالمعنى الجغرافي العصري ، وعن الدولة الصنهاجية

، : " وهذه الدولة أيضا صميمية ، نشأت عام 324ه وانقرضت في 547ه على يد الموحدين ... كما تحدث عن لدولة الفاطمية : " كانت نشأة هده الدولة عام 297ه وانقطاع دعوتها من القيروان عام 341ه باستقلال الدولة البادسية الصنهاجية ... "، والدولة الزيانية : " زكان ابتداء هذه الدولة عام 633ه وانقراضها عام 975ه باستيلاء الأتراك عليها كما تعرض للتواجد العثماني التركي في الجزائر والاحتلال الفرنسي سنة 1830م والثورات الشعبية المناهضة للاحتلال كثورة المقراني التي قامت سنة 1871م [13] .

- **تلمسان وابن خلدون :**

رأت تلمسان قرى ومدنًا لا تساويها في القيمة العلمية والجلالة التاريخية تهتمّ وتفتخر برجال من أبنائها لا يساوون في النبوغ والعظمة ذلك الرجل الذي قلّب وجه التاريخ، بما وضع له من قواعد، وشرع له من سُنن، وابتدع له من جديد، وحمى له من حمى، وهو أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون، وأرادت تلمسان اليوم- وهي المدينة الكريمة- أن تُكرم هذا الرجل الذي أكرمها وكان أحد بناة مجدها، وأن تعرف له بعض حقّه، وأن تحيي ذكره بإحياء ذكراه، فأوحت إلى أحد أبنائها- كاتب هذه الأسطر- أن يقوم بهذا الواجب عنها في هذا اليوم الذي تتم به خمسة قرون وسبعون سنة على آخر وفادة وفدها هذا العبقري العظيم على هذه المدينة، تذكارًا لصلته بها وصلتها به، ولما أبقاه لها في تاريخه من فخر خالد، وما أبقاه على ثراها من أخ برّ، هو أبو زكريا يحيي الذي زان سلطنة بني زيان وحفظ أمجادها في كتابه "بغية الرواد" وعسى أن أقوم في هذه العجالة بما يقتضيه وحي هذه الأم من الوفاء لها ولابن خلدون، أبيّن سيرته وأحلّل حياته وأكشف عما بينه وبين تلمسان من وشائج القربى، وعما كان لها من تأثير في عقليته العظيمة ومداركه الواسعة بما لقّنه علماؤها من فنون وعلوم [14] .

فلم يكن ابن خلدون تلمسانيًا بمعنى أنه وُلد فيها ونشأ بين ربوعها أو كان له سلف من أهلها، وإنما هو حضرمي الجذم يتصل بأقيال (حضرموت) اتصالًا يرجع إليه ما في الرجل من سمة الملك والتسامي للملك، ثم يبتدئ في الإسلام بوائل ابن حجر الصحابي الجليل ابتداءً يرجع إليه ما في الرجل من نزعات دينية قوية وخلال روحية مستحكمة، ويرجع إلى هذين ما في الرجل من ملكة عربية عريقة الأصل قوية الأسر ومن بيان قوي التأثير نافذ السحر، ثم تأتي الفتوحات الإسلامية فيُكتب لأحد أجداده الخروج من

جزيرة العرب الأولى إلى جزيرتهم الثانية (الأندلس)، وإنّ لله فيمن ساقهم سائق الفتح من إحدى الجزيرتين إلى الأخرى لَحكمةً ظهرت آثارها فيما شيّد للغة العرب وآدابها من بنيان، وفيما تمكّن لهما من سلطان.[15]

ويكفينا ابن خلدون نفسه مؤونة البحث عن أجداده في الإسلام فيقول:" إن سلفه استوطنوا (إشبيلية)، وكانت لهم بها نباهة وذكر وامتياز بالوظائف العالية، وكل ذلك مما مهّد لهذه النفس الكبيرة التَّبَوُّؤُ في العالم الذي ظهرت فيه، وبيّن أن أحد أجداده الأدنين انتقل من الأندلس إلى (بونة) ومنها إلى (تونس)، وما كاد يطوي التاريخ منهم اثنين حتى ظهر فيهم من طوى التاريخ في ملاءته وهو أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون، إذن فليس بين هذا العظيم وبين تلمسان شابكة إلّا ما عسى أن يكون من اتصال في الروايات العلمية لأحد أجداده، والروايات العلمية هي الرابطة الكبرى في تلك العصور بين تلمسان والأندلس، فالرجل حضرمي أندلسي تونسي، ولكن قدّر له ولتلمسان أن يكون بينهما ما هو أقوى على الدهر من وشائج الأرحام، وهو ما لقّنه وهو بتونس من علماء تلمسان الذين كانوا في ركاب السلطان أي الحسن المريني، فكأن تلمسان أرادت، إذْ لم يصلها العظيم، أن تصله، وإذ لم يكن من أبنائها أن تتبنّاه.[16] ومن هنا تبتدئ العلائق بين تلمسان وابن خلدون، وهي في أوّلها علمية وسنعرف ما آخرها، وكان ابن خلدون وهو أعلم الناس بقيمة تلمسان العلمية في عصره، كان يزمع الرحلة إليها لاستكمال معلوماته وإرواء نفسه الظمأى من مناهلها، فتعجلت تلمسان له ذلك بما أوفدت مع السلطان أي الحسن إلى تونس من علمائها وهم (علماء الدنيا). يقصّ ابن خلدون في بيان رائع أثناء خاتمة تاريخه وفي معرض اكتساح السلطان أبي الحسن لافريقية– حكاية ملاقاته بهؤلاء الأعلام من علماء الأندلس وتلمسان، وبذكر ذلك البيان في نخوة كيف كان يتردد عليهم لتغذية نفسه، فيفهم القارئ المتنعّم أن اجتماعه بهم لم يكن عن داع بسيط كما يندفع طالب العلم إلى الأخذ عمن هو أعلم منه، وان هناك لطيفة روحانية جذبته إلى هؤلاء الأعلام ومؤثرًا نفسانيًا وهو سمعة تلمسان في أذنه ومكانتها في قلبه وشهرتها العلمية في ذاكرته، واننا نراه يذكر اسم الإمام الآبلي التلمساني في مقدمته مرارًا في صورة استفتاء في دقائق اجتماعية فلسفية، فيصدر عن رأيه ويشهد له بالتمكن وقوة العارضة، فنفهم السرّ فيما كان متأثرًا به من تلمسان وشهرتها الفنية في ذلك العصر، ثم قدّر الله أن ينغمس في السياسة وخدمة الدول، واستشرفت نفسه إلى تحقيق ما هي مستعدة له من ذلك، ولم يجد في الدولة

الحفصية التي نشأ في ظلّها بتونس ما يشبع نهمته لأنها فرع دولة هرِمت وماتت، ففيها من آثار الهرم والموت ما سيلحقها بأمّها[17] .

كانت الدولة المرينية التي قامت على أنقاض الدولة الموحدية بالمغرب متوثبة إلى الفتح، مندفعة إلى القوة بالقوة، جاذبة إليها عظماء الرجال وأساطين الفكر، فتوسّم ابن خلدون أن بضائعه النادرة الغالية لا تنفق إلّا في سوقها، فاتصل بها واتصلت به، وكان طبيعيًا أن تلمسان هي جسر مرورها إليها، فدخلها في طريقه إلى حاضرة بني مرين وتلاقى الحبيبان بعد طول الفراق وإلحاح الأشواق، وانتهت تلك الإرهاصات بالمعجزة...

ثم كانت الأحداث في الدّولة المرينية المتقلبة تدفع هذا الرجل الفذ تارةً إلى الصدر وتدفعه تارةً عن الصدر، وكان النزاع محتدًا بين بني مرين وبني زيان على تلمسان، كل يريد أن تكون درّة في تاجه، فكانت تلك الأحداث وذلك النهل مما يثمر اتصال الحبيبين "تلمسان وابن خلدون"، فدخلها مرارًا وأحلته المكان الرحب بين صدورها وأمرائها وعلمائها حتى خطبته لأن يكون مدبّر دولتها والمصرف للأمر والنهي فيها واللسان الناطق عن ملوكها، فأبى لا استقلالًا لقيمتها في نفسه ولكن رأى بنظره الثاقب أنه لا يستقرّ فيها له قرار، وبين بني مرين وبني زيان ما بينهم من مصاولة عليها ومنازعات فيها، فتخلّص بحيلة إن لم تبلغ منه تلمسان ومن علومه وآرائه كل مُناها فقد أبلغتها بعضًا، وهو إبقاء أخيه الكاتب المؤرخ أي زكريا يحيى ابن خلدون كاتبًا بالأعتاب الزيانية، ثم تقلبت به صروف الدهر، فأقام سنوات بمدينة بسكرة واغتبط بها وأفاء عليه أمراؤها الأكارم بنو مزني من نعمهم وإكرامهم ما أنساه حواضر الملك العظيمة وعطايا الملوك الجسيمة، وكانت تربطه صلة الصهر بمدينة قسنطينة، فلا شك بأنه كان ينتابها في بعض الأحايين لتلك العلاقة، ينفّس فيها بعض هموم نفسه الكبيرة، ولا بأس بوزارة حينًا ببجاية وهي مدينة العلم إذّاك وبها من فرسان المعقول والمنقول العدد الوفير، وكثير منهم يتصل بمؤرخنا بلحمة الأساتذة والمشائخ، ورحم العلم موصولة بين بجاية والأندلس وتلمسان وقسنطينة [18] .

ثم يواصل عذب كلامه فيقول : " وكانت بجاية إذّاك تمث لكل مدينة من هذه المدن بالصلة الوثيقة، فمؤرّخنا قد كان يتقلب من مراكش إلى تونس بين عواصم علمية متشابهة الأعلام، متشابكة الأرحام، وإنْ فرقت فيها بواعث السياسة والتنافس في الملك، ونشهد في تضاعيف كلامه وكلام مَن أرّخ له من

معاصريه فمَن بعدهم حنينًا من المؤرّخ العظيم إلى تلمسان وأعلامها الذين هم مشائخه وأقرانه، وإلى معالمها التي هى مرابعه وأوطانه، ورسائل ترد عليه من أخيه ومن ملوك تلمسان بواسطته،

فلم تنقطع صلته بتلمسان يومًا، ولو ساعده الدهر فيما نرى لَسقط به هواه على هذه المدينة المحبوبة سقوط الحائم على الماء، وفي اختياره لقلعة بني سلامة وانقطاعه بها تلك السنوات التي كتب فيها مقدمة التاريخ البديعة دليلٌ على هذا الميل، لأن تلمسان أقرب مدن افريقيا إلى قلعة بني سلامة. هذه الجمل موجزة لبيان صلة خاصة من صلات المؤرّخ العظيم بمدينة من مدن قطره يغفلها مَن كتب عنه من كتّاب الشرق، وعذرهم في ذلك عدم عرفانهم بعظمة هذه المدينة في ذلك الوقت، وعسى أن ترشح القريحة ببعض أسباب هذه العظمة على صفحات "الشهاب" الأغرّ [19] .

- تجنيد التاريخ لخدمة قضية الأمة :

إنّ محاولة الهدم الاستعمارية لم تكن خفية عن الشيخ الابراهيمي فأشار إلى ذلك في معرض قوله : " تمكن الاستعمار وحرصه على طمس الحقائق التي لا تجري مع هواه وعمله على نسيان الشعب الجزائري لأمجاده وتصوره للحقائق مقلوبة أو مشوهة حتى تضعف فيه ملكة التأسي ثم تموت وقد رأيناه بعد استقرلار الأمر يحارب التاريخ الاسلامي والتاريخ العربيوالآداب العربية من أساسها " [20] .

وباعتبار أنّ تاريخ العالم هو من المقومات الأساسية للشخصية فانه قد تعرض مثله مثل اللغة العربية والدين الإسلامي لمحاربة الاحتلال بأسلوبين:

1 - رفض تعليم تاريخ الجزائر وبخاصة العربي الإسلامي لأبناء الجزائر في المدارس الفرنسية التابعة لإدارة الاحتلال إلا في نطاق محدود للغاية ومن جهة النظر الاستعمارية والاستعاضة عنه بتدريس تاريخ فرنسا في جميع مراحل التعليم واعتبار تاريخ فرنسا هو التاريخ القومي والوطني للجزائريين بهدف القضاء على الشخصية الوطنية ثم رفض حضر على مدارس التعليم [21] .

2- - بذل علماء التاريخ والآثار الفرنسيون محاولات مكشوفة من اجل تشويه تاريخ الجزائر في ظل الإسلام والعروبة، وكما حاولوا اسدال ستار كثيف على واقع هذا التاريخ حتى لا يعرفه الجزائريون على حقيقته الناجعة. فقد كرّسوا جلّ اهتمامهم ودراستهم بتاريخ الجزائر والآثار الموجودة بها خلال عهدين فقط من عهودها التاريخية وهما العهد الروماني قبل الإسلام ،وعهد الاستعمار الفرنسي بعد الاحتلال ، مهملين عن عمد تاريخ الجزائر في ظل الإسلام والعروبة الذي يمتد طوال أربعة عشر قرنا،والذي صاغ الشخصية الوطنية .وكان هدفهم وراء ذلك هو الايحاء الى الجزائرين بأنّ بلادهم فرنسية في حاضرها ومستقبلها ،ورومانية في ماضيها ولاشيء في غير ذلك ، وبالتالي ليس هناك تاريخ قومي للجزائريين يمكن أن يعتزوا به والمقيمون على أساسه حقيقتهم الاجتماعية وشخصيتهم الوطنية [22] .

وإن كان من نتائج العناية بالتاريخ الجزائري قيام كل من أحمد توفيق المدني ومبارك الميلي وعبد الرحمان الجيلالي بتأليف عدد من الكتب في تاريخ الجزائر متمثلة في "كتاب تاريخ الجزائر" في جزئيين «تاريخ الجزائر القديم والحديث بجزئية ،فإنّ رد فعل الابراهيمي لا يقلّ عن هؤلاء. فكان اهتمامه بالتاريخ في ميدان التدريب من خلال حركة التعليم الحر وبرامجه.

ونتيجة لحرص الإبراهيمي على النّهوض بالتّعليم رفقة إخوانه العلماء "من جمعية العلماء المسلمين "أصبح التاريخ الجزائري يدرس علانية و بتوسع كبير في مدارس الجمعية ومعاهدها على عكس فترة الثلاثينات ، حين كان تدريس التاريخ الجزائري و العربي تحت عناوين مختلفة ، مثل دراسته للمواريث أو دراسة مواقيت العبادات او تاريخ التشريع إلى غير ذلك من العناوين متحدّ بذلك قرارات الإدارة الفرنسية وقوانينها [23] . فيقول:" أمّا الرأي الشجاع العاقل الحصين والموزون بميزان العدل والحق فهو أن نجمع ونصمّم ونعتمد على أنفسنا ونتوكل على ربّنا ونتعلم ديننا ولغتنا وكلّ ما يخدمهما من علوم وفنون من البدايات إلى النهايات لأنّ ذلك ألزم لحياتنا ووجودنا من الطّعام والشراب ولا نبالي بمخلوق يقف في الطريق ولا بحقود بغض من حقده بالبريق". [24]

وجاء في مناهج التعليم للقسم الابتدائي والمتوسط الذي وضعته لجنة التعليم العليا أن تدريس التاريخ في المدارس الابتدائية يبدأ في السنة الثالثة (حصتين في الأسبوع) بتدريس تاريخ الجزائر بصفة خاصة وتاريخ العالم العربي بصفته العامة .ويستمر هذا البرنامج الى السنة الرّابعة.أمّا السنتين الخامسة والسادسة فإنّ التركيز فيها ينصب على التاريخ الإسلامي ،وتاريخ الجزائر في العصر الحديث إبّان الاحتلال الفرنسي ومقاومة الشعب المسلحة ضدّ هذا الاحتلال مع محاولة الإلمام بالتّاريخ العربي الحديث [25] .

كما رأى الإبراهيمي أنّه من الضّروري **تجنيد التاريخ لخدمة الثّورة الجزائريّة** ، فالتّعريف بماض الجزائر العربيّة و الإسلاميّة ، هو تحسيس و توعية لشعوب العالم العربي و الإسلامي ، بأنّ الجزائر جزء لا يتجزّء من وطنهم الكبير ، في هويّته و التّاريخ المشترك بينهم جميعا ، فتتجدّد عواطفهم و أحاسيسهم تّجاه الشعب الجزائري شقيقهم في الدّين و الدّم ، فتتحرّك فيهم الغيرة و الحميّة لحرمته و حريّته ، فيوجب عليهم الذّود عن حماه ، و يأخذون بيده إلى الاستقلال بنصرهم له ، حيث يقول مخاطبا شبّان العرب : " فمن حقّ الجزائر عليكم أن تعرفوها و تصلوا رحمها و تدرسوا تاريخها الذّي هو جزء من تاريخكم ، و أن تعدّوا محنتها محنتكم ، و قضيّتها جزءا من قضيّتكم ... ". [26]

و قد سبق و أن باشر بالبحث التاريخي في أوضاع الجزائر الدّينيّة و التعليم العربي تحت الاحتلال الفرنسي ، بشكل دقيق و مفصّل و ممنهج منذ سنة 1949 ، و نشر في شكل مقالات في جريدة البصائر . و توسّع فيه أثناء الثورة ، مشتملا على كل الميادين الأخرى . و لكنّ كتابات مرحلة الثّورة لها خصوصيّاتها و توقيتها ، و غاياتها . و لم يكن أهل الشّرق من العرب و العجم المسلمين يعرفون شيئا عن تاريخ الجزائر ، فبعض الشّعوب مثل شعب باكستان – قبل أن يزوره الإبراهيمي في سنة 1952 – يجهل أن هناك بلد اسمه الجزائر ، و من بينه من كانوا يخلطون بينها و بين نيجيريا .
وبالنّسبة للشّعوب العربيّة ، فقد كانت معرفتهم بها سطحيّة جدّا و عابرة ، كأيّ بلد في الأقاصي لا ينتمي للأمّة العربيّة ، فلا المجتمع و لا المؤسّسات التّعليميّة ... كانوا يستظهرون و يوضّحون تاريخ و حقيقة القطر الجزائري المحتَل ، لأبنائهم و طلاّبهم ، و عوامهم ، في حين كان التّضليل عليهم قائما في هويّته و حقيقته من طرف الاحتلال الفرنسي [27] .

– في كتب التّاريخ ، و أقل من ذلك في كتب الجغرافيا التي تصف الجزائر بأنّها " مستعمرة فرنسيّة دينها الإسلام ، و قد
ألحقتها فرنسا بها " و لا تكاد تزيد عن ذلك شيئا آخر هذا بينما تتناول كتب التّاريخ المذكورة " الثّورة الفرنسيّة " بتفصيل واف

و يقول الإبراهيمي في هذا الشّأن : " و لكن هذه القطعة [الجزائر] و جارتيها تونس و مراكش مجهولات عندكم ، لم يعرّفكم بهنّ الآباء و لا المدارس و لا الكتب و لا الكتّاب ، فإذا أسمعوكم عنها شيئا فالشيء الذّي ينفر و لا يحبّب ، و يزهد و لا يغري ، أو الكلام الذّي يردّده عنها الاستعمار ، يخدّر به الشّواعر ، و يبعد الأخ عن أخيه ... " [28] .

و كتب في تاريخ الجزائر السياسي العام، من الفتح الاسلامي لها الى غاية تأسيس جمعيّة العلماء المسلمين ، سالكا في ذلك منهجيّة منظّمة في تقسيم المراحل التاريخيّة و ترتيب الأحداث ، و الدّقّة في المصطلحات ، و التّحليل الجيّد و المقنع ، و كلّها تدلّ على تمكّنه من اختيار مرجعيّة دقيقة بعد فرزه لها ، و الى جانب هذا عرضه لكلّ نصوصه في لغة و أسلوب راقيين و واضحين ، و ذلك بما عرف عنه من قوّة بيانه في تصوير الحقائق ، و إلمامه بفن جوامع الكلم . و قد كان مؤرّخا مجتهدا برأيه المدلّل في بعض الوقائع التّاريخيّة التّي تجاذبتها الرّؤى و الأفهام ، و الاتّهامات[29] .

فإلى جانب تعريف الإبراهيمي بتاريخ الجزائر ، لتذكير العرب و المسلمين بأخويّة الجزائر لهم ؛ أراد أن يقول لهم أو يفهمهم بأنّ الجزائر لا تقلّ عنكم إسلاما و عروبة ، و جهادا عظيما في سبيل اللّه يفوق جهادهم ، و جهودها في زخم الحضارة العربيّة و الاسلاميّة و توسيع نطاقها ، و لا تقل عنكم في المروءة و الجسارة ، و في الحميّة للأمّة قاطبة . فليفتخر و يعتزّ بها إخوانها ، لأنّها تزيدهم فخرا و اعتزازا . و من الطّبيعي على الانسان أن يقاتل من أجل هذين المعنيين ، ليضمن مكانته و حضوره بين الأمم .

– الجانب العملي في مساندته للثورة التّحريرية وتوظيفه للتاريخ :

قبل قيام الثورة الجزائرية كانت هناك نشاطات لدعم نضال المغرب العربي، وكان الشيخ يتكلم باسم الجزائر ويطرح قضيتها ونضالها ضد الاستعمار، ويحضر تلك النشاطات محمد خيضر وأحمد بومنجل من الجزائر، وعلال الفاسي من المغرب، ومحي الدين القليبي من تونس. كما كان لنشاط الشيخ في القاهرة وفي عدد من عواصم الدول العربية والإسلامية، معرفا بالجزائر وتاريخها وكفاحها ضد المستعمر، أثر كبير في دعم الثورة الجزائرية ونصرتها.وعندما اندلعت الثورة في أول نوفمبر 1954، وأظهرت بطولات وتضحيات الشعب الجزائري، التهبت مشاعر الجماهير العربية والإسلامية فخرا واعتزازا بهذه الثورة بعد معاناتهم من الهزائم المتوالية منذ معاهدة "سايكس بيكو"، والاحتلال الفرنسي والبريطاني لبلدان المشرق العربي، والاحتلال الإيطالي لليبيا، ونكبة فلسطين وقيام الدولة الصهيونية عام 1948، إلى محاولة القوى العظمى تمزيق شمل العرب والمسلمين في كل مكان.(30)

ومتى اتخذ الابراهيمي موقفا مناصرا للثورة؟

أصدر الشيخ بيانا مؤيدا للثورة يوم 2 نوفمبر 1954 عنوانه "مبادئ الثورة في الجزائر" وقعه معه الشيخ الفضيل الورتيلاني، وتبعه بيان آخر يوم 15 نوفمبر 1954 بعنوان "نداء إلى الشعب الجزائري". ومنذ أن اندلعت الثورة كانت للشيخ اتصالات مستمرة مع عدد من قادتها ومع أعضاء جبهة التحرير الوطني الجزائري، الذين التحقوا بالقاهرة. وفي يوم 17 فيفري 1955 صدر بالقاهرة بيان يتضمن ميثاق جبهة تحرير الجزائر، وقعه كل ممثلي الأطياف الوطنية الجزائرية وهم: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي والفضيل الورتيلاني ومحمد خيضر وأحمد بن بلة وحسين أيت أحمد والشاذلي المكي وأحمد بيوض وأحمد مزغنة ومحمد يزيد وحسين الأحول. وفي يوم 18 فيفري 55، صدر بالقاهرة أيضا بيان يتضمن اللائحة الداخلية لجبهة تحرير الجزائر، يحمل نفس التوقيعات.

وتوالت الكلمات والبيانات والنداءات من الشيخ عبر وسائل الإعلام، خاصة في إذاعة صوت العرب، وكلها موجهة للشعب الجزائري وللمجاهدين الجزائريين ولكن أيضا للعرب والمسلمين. ومن بعض عناوين هذه الكلمات: التكالب الاستعماري على الجزائر – كيف تنجح الثورة في الجزائر – موالاة المستعمر خروج عن الإسلام – الإسلام في الجزائر – الجزائر المجاهدة – دور الدول الإسلامية في المؤتمر الآسيوي الإفريقي وبمناسبة انعقاد مؤتمر (بندونغ بأندونيسيا – أفريل 1955). وسعى الشيخ لتدويل القضية الجزائرية فاتصل بالجامعة العربية وبالملك سعود بن عبد العزيز وبالأمير فيصل وزير الخارجية،

وبعث ببرقية مطولة في جانفي 1955 للملك سعود ملك المملكة العربية السعودية، يطلب منه فيها أن يكلف الأستاذ أحمد الشقيري والأستاذ عبد الرحمان عزام أو أحدهما بمتابعة قضية الكفاح الجزائري والدفاع عنها، لأنهما يلمان إلماما تاما بشؤون الجزائر من جميع نواحيها مع الإخلاص والغيرة والجرأة المعروفة عنهما (كما جاء في البرقية)، وقد كلف الملك سعود الأستاذ أحمد الشقيري للقيام بعرض قضية الجزائر على منظمة الأمم المتحدة، وتم ذلك بالفعل وألقى الشقيري المعروف بحنكته السياسية والدبلوماسية وبلاغته باللغة الإنجليزية خطبة منظمة في الأمم المتحدة لصالح الثورة الجزائرية، لقيت صدى كبيرا لدى الوفود.

كانت الثورة حاضرة و دائرة دائما في فكر الشيخ وفي قلبه، وقد أصدر فتوى دينية تتضمن دعوة للشعب الجزائري للإيمان بها والمشاركة فيها وتأييدها بكل قوة، وكان يعتقد أن ما وقع في الفاتح من نوفمبر 1954 هي (ثورة وليست فورة)، واستدل على ذلك بأمرين: أولا أنها قامت في وقت واحد على خلاف الثورات الشعبية السابقة، وأنها انتشرت بشكل واسع و لم تشمل منطقة واحدة فقط، ولهذا كان قراره الحاسم بوجوب مساندة هذا العمل الثوري العظيم

وهل كانت هذه المواقف بمثابة استمرار لمواقف سابقة في مرحلة النضال الوطني السياسي؟ [31]

إنّ الأمر الذي يمكن من خلاله أن يلخّص المرىء شغف ونهم الابراهيمي بدراسة وفقه التاريخ تلك الكلمات الرّنانة التي تفوّه بها علما أنّها صادرة من عقل متدبّر عالم حصيف حيث قال : "إنّ الأمة الإسلامية التي يقرأ الناس أخبارها في التاريخ ، فيقرؤون المدهش المعجب ، ويرى الناس آثارها في العلم والتشريع والأدب والحكمة فيرون الطراز العالي البارع ، فيستوي المحب والمبغض في الاعتراف بأنّ أمة هذه أخبارها وهي آثارها ، لهي الأمة حق الأمة ، إنّ تلك الأمة ما كانت أمة بذلك المعنى وتلك الأوصاف إلا بالقرآن" [32] .

خاتمة :

خلاصة لما تقدّم يمكن أن نوجز أهم ملامح منهج الإبراهيمي في تناول قضايا التاريخ فيما يلي :

1 ــ يتناول الإبراهيمي التاريخ ــ وخاصة التاريخ الإسلامي ــ باعتباره تاريخ أمة متصل الحلقات ، مترابط الأزمنة ، وليس على أساس أُسَرٍ تعاقبت على الحكم ، ليثبت أن الأمة هي التي تصنع العظماء في تاريخها ، وعظماؤها هم نتاج وضع الأمة وظروفها ، مما يحقق العبرة و العظة والاستنباط بعيدا عن التعصب المقيت لهذه الدولة أو تلك ، أو لهذا العنصر أو ذاك .

وهو منهج أقرب إلى الروح العلمية من طريقة الأجزاء المبتورة ، والجزر المعزولة . لأن الدارس يتتبع تطور تاريخ أمته خطا متصلا يرقب فيه أسرار النمو والازدهار ، وعوامل الضعف والانكسار .

2 ــ لا يُعنَ الشيخ الإبراهيمي بالتفاصيل والجزئيات ، بل يعرض للأحداث الكبرى ، و الخطوط العريضة ، ويأخذ بيد القارئ إلى لُبِ الحدث ، وجوهر الموضوع ، فعصر الإبراهيمي وجيله الذي يخاطبه أو يقرأ له يواجه من التحديات ما يمنعه من تتبع التفاصيل والإغراق فيها ، بل يريد أن ينفذ سريعا إلى الأدواء و العلل ويصف الدواء الناجع ، ويساعده على هذا المنهج أدب رفيع ، وبيان ساحر ،ولغة محكمة .

3 ــ يرى الإبراهيمي أن التاريخ لا يكتب " ساخنا " وإنما يكتب بعد برود الحدث وسكون غباره ، وهذا منهج المؤرخ العارف بواجبات المؤرخ وأدواته ، فالحدث التاريخي لا يكتب إلا عند توفر الوثائق والأدوات ، ولابد مع ذلك من تمتع المؤرخ بميزات تتمثل في الثقافة العميقة و الذكاء الحاد و النزاهة الخالصة .

وهو يرى أن التاريخ الوطني لا يكتبه إلا مؤرخ وطني ، وهذه قضية حيوية في كل العصور وعند مختلف الأمم ، فالمؤرخ هو صوت أمته وهو المعبر عن هويتها الحقيقية مهما تفنن الآخرون وأخلصوا في الكتابة عنها .

وقد تمنى الإبراهيمي في مقالته "فرنسا وثورة الجزائر " ــ وهي مقالة قديمة أضيف إليها ذيل ــ أن يقيّض الله لثورة الجزائر مؤرخا من أبنائها " مستنير البصيرة"، مسدد الفكر و القلم ، صحيح الاستنتاج ، سديد الملاحظة ، فقيها في ربط الأسباب بالمسببات ، ليكتب "تاريخا لا يقف عند الظواهر و السطحيات ...بل يتغلغل إلى ما وراء ذلك من الأسباب النفسية التي تحرك فرنسا إلى هذه المجازر البشرية ، وإلى العوامل التي تدفع المقاتلين (الجزائريين) إلى هذه الاستماتة في حرب حارت فيها عقول ذوي العقول

...."وأضاف :" لا نخطط الخطوط لذلك المؤرخ المرتقب ، ولا نحدد الحدود لذلك المؤرخ ، ولا نقدم له صورة هينة ، فذلك المؤرخ الذي أعدّه الله لهذه المنقبة لعله لم يولد بعد ، وإنما الشرط فيه أن يكون جزائري".

إن هذا الرأي يضع مواصفات المؤرخ الذي سيكتب تاريخ الثورة ، كما يضع أيضا مواصفات المؤرخ عموما ، كالثقافة المتينة ، وقوة الاستنباط ، و البحث عن العلل والأسباب، و الغوص وراء الظواهر ، ومعرفة الدوافع الباطنية .

4 ــ ركز الإبراهيمي في أكثر مقالاته ومحاضراته وأحاديثه ــ وخاصة تلك التي كتبها أو ألقاها في بلاد المشرق العربي ــ على التاريخ الإسلامي الجامع للمشرق و المغرب ، فيأتي بالشواهد من عصر الرسالة ، ثم تاريخ الراشدين ، ومن بعدهم الأمويين و العباسيين ...باعتبار أن هذه العصور تمثل الوحدة التاريخية للأمة الإسلامية ، وهو منهج ذكي حصيف يقوم على قاعدة "خاطبوا الناس بما يفهمون " ، أما تواريخ المغرب الإسلامي من الفتح إلى الاحتلال فلا يعرض لها إلا قصد التعريف أو شرح السياق التاريخي ، مبينا أن أفق المغرب جزء لا يتجزء من جسم الأمة إن أضاعته أو تناسته أو فرطت فيه هيض جناحها ، وضُربت في مقتلها ، وأعداء الأمة لا يفرقون بين مشرق الأمة ومغربها.

5 ــ لقد رصد الإبراهيمي الواقع الإسلامي بكل ما يحمل من علل وأدواء وتخلف وتراجع حضاري شامل من خلال رؤية تحليلية وبصيرة نافذة ، فراح يستمد العلاج من سنن التاريخ ، ويتعرف على القوانين التي تحكم الاطراد الحضاري ، محاولا استجلاءها من الأصول الإسلامية: قرآنا وسنة ، وتراث الإسلام الثقافي ، غير متجاوز ذاتية الأمة ، ومقوماتها العقيدية و الفكرية التي صاغت وبلورت التجربة الإسلامية في التاريخ .

هوامش الدّراسة :

1- أبو القاسم سعد الله ، الثقافة التاريخية عند الإبراهيمي . موقع ابن باديس
www.binbadis.net/al-ibrahimi.

(2) محمد البشير الابراهيمي ، الآثار ، ج 5 ، ص ص 72-73

(3) نفسه

(3) محمد البشير الابراهيمي ، الآثار ، ج 5 ، ص 71

(4) محمد البشير الابراهيمي ، الآثار ، ج 5 ، ص 71

(5) أبو القاسم سعد الله ، الثقافة التاريخية عند الإبراهيمي . موقع ابن باديس
www.binbadis.net/al-ibrahimi.

(6) محمد البشير الابراهيمي ، الآثار ، ج 5 ، ص 14

(7) أبو القاسم سعد الله ، الثقافة التاريخية عند الإبراهيمي . موقع ابن باديس .
www.binbadis.net/al-ibrahimi

(8) محمد البشير الابراهيمي ، الآثار ، ج 1 ، ص 108

(9) نفسه

(10) محمد البشير الابراهيمي ، الآثار ، ج 1 ، ص 108

(11) محمد البشير الابراهيمي ، الآثار ، ج 1 ، ص 109

(12) نجيب بن خيرة ، فقه التاريخ عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي راجع ذلك على الموقع : http://www.almultaka.org/site.

(13) محمد البشير الابراهيمي ، الآثار ، ج 5 ، ص 106

(14) الشهاب"، المجلد 14، ج 6 ، أوت 1938 (بدون إمضاء)

(15) الابراهيمي ، الآثار ، ج 1 ، ص 370

(16) الابراهيمي ، الآثار ، ج 1 ، ص 370

(17) الابراهيمي ، الآثار ، ج 1 ، ص 371

(18) الابراهيمي ، الآثار ، ج 1 ، ص 372

(19) الشهاب"، المجلد 14، ج 6 ، أوت 1938 (بدون إمضاء)

(20) الابراهيمي ، الآثار ، ج 5 ، ص 118

(21) رابح تركي ، التعليم القومي ، ص 332

(22) أنظر : ناصر الدين سعيدوني : المسألة البربرية في الجزائر " ، **عالم الفكر** ، العدد4 ، مجلد 32 ، أفريل – جوان 2004 ، ص 146

أنظر ايضا : رابح تركي ، نفسه ، ص 333

(23) تركي ، نفسه ، ص ص 333- 334

(24) الابراهيمي ، " التعليم العربي والحكومة " ، البصائر ، عدد 74 بتاريخ 4 أفريل 1949 ، ص 2

(25) تركي ، ص 334

(26) الابراهيمي ، الآثار ، ج 5 ، ص 101

(27) نفسه

28) – أنظر : تركي رابح عمامرة ، " البشير الإبراهيمي في المشرق العربي ، "**مجلّة الثّقافة** ، ع 87 ، الجزائر ، شعبان ـــــــــــــــــ رمضان 1405 ه / ماي – جوان 1985 م ، ص 225 ، 226

(28) البشير الإبراهيمي ، الآثار ، ج 5 ، ص 100

(29) من بينها : الرّد على بعض الاتّهامات الموجّهة للأمير عبد القادر في استسلامه ، معلّلا ذلك بظروف واقعيّة ألزمته ذلك ، و نقائص ثورة المقراني سنة 1871 م التّي كانت سبب فشلها ، و توضيح توجّهات الأحزاب السّياسيّة الجزائريّة و أهدافها خلال النّصف الأوّل من القرن العشرين ، بذكر عيوبها التّي تصبّ في مصلحة الإحتلال ، و خاصة منها مسألة الانتخابات التّي شغلتهم عن المصلحة العامّة ، و طريقتهم الخاطئة في تكوين مجتمعهم تكوينا سياسيّا . و فضح أسرار إجراءات الاحتلال في الجزائر ، ذات المرامي القريبة و البعيدة.

(30) محمد خمّار لـــجريدة الخبراليومي " **الشيخ البشير الإبراهيمي أصدر بيانا مساندا للثورة يوم 2 نوفمبر 1954** حاوره حميد عبد القادر (الخبر ليوم 29 ماي 2016 م).

(31) الشيخ البشير الإبراهيمي أصدر بيانا مساندا للثورة يوم 2 نوفمبر 1954"، نفسه .

– أنظر أيضا : كتاب الابراهيمي ، في مهب المعركة (ففي ما يغني ويثري المسألة)

(32) الشهاب ، ج 4 م 14 ، ربيع الثاني – جمادى الأولى 1357 / جوان – جويلية 1938

المصادر والمراجع :

– الابراهيمي(محمد البشير) ، الآثار ، ج 5 . دار الغرب الاسلامي ، بيروت 2003.

الابراهيمي(محمد البشير) ، الآثار ، ج 1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت 2003.

– الشهاب"، المجلد 14، ج 6 ، أوت 1938 (بدون إمضاء)

- تركي (رابح) ، التعليم القومي والشخصية الجزائرية ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، 1983 .

المقالات :

الابراهيمي(محمد البشير) ، " التعليم العربي والحكومة " ، البصائر ، عدد 74 بتاريخ 4 أفريل 1949

- خمّار (محمد) لـــجريدة **الخبراليومي** " **الشيخ البشير الإبراهيمي أصدر بيانا مساندا للثورة يوم 2 نوفمبر 1954**حاوره حميد عبد القادر (الخبر ليوم 29 ماي 2016 م).

- تركي (رابح عمامرة) ، " البشير الإبراهيمي في المشرق العربي ، "**مجلّة الثّقافة** ، ع 87 ، الجزائر ، شعبان ـــــــــــــــــ رمضان 1405 ه / ماي – جوان 1985 م ، ص 225 ، 226

- سعيدوني (ناصر الدين) ، المسألة البربرية في الجزائر " ، **عالم الفكر** ، العدد4 ، مجلد 32 ، أفريل – جوان 2004 ، ص 146

المواقع الالكترونية :

- بن خيرة (نجيب) ، فقه التاريخ عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي راجع ذلك على الموقع :
http://www.almultaka.org/site.

- سعد الله (أبو القاسم) ، الثقافة التاريخية عند الإبراهيمي . موقع ابن باديس
www.binbadis.net/al-ibrahimi.